

رسالة
الشيخ حافظ العزّيز
في
غزوَةِ الْكَافِرِ

رسالة

الشيخ حامد العرادي

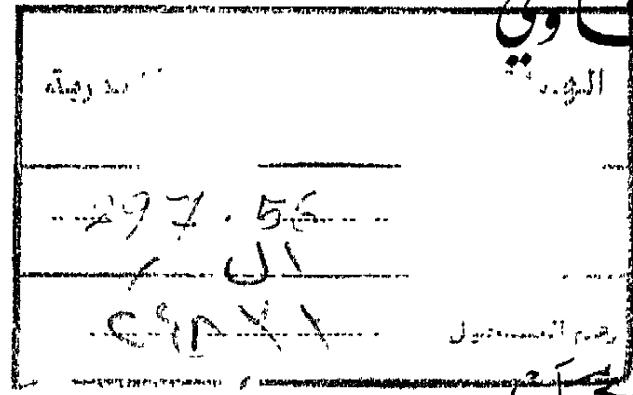
في

عِرْوَةُ الْكَاسِنِ

نَفَعَ بِهِ اللَّهُ بِهَا أَمِينٌ وَإِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ

مَقْرَبًا وَعَلَيْهِ عَلِيهَا

خَسَادِتَّا وَيَ



دار القلم العربي بالحكمة

مَنْشُورَاتُ
دَارُ الْقَلْمَاعَرَبِيِّ بِحَلْبَ

جَمِيعُ الْمَقْوُمِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤١٤ - ١٩٩٤

عِنْدَنَ الدَّارِ
شُورِيَّةٌ - حَلْبَ - خَلْفَ الْفَنْدُقِ الْمِسْيَاجِيِّ
شَارِعُ هُدَى الشِّعْرَارِيِّ
هَاتَفٌ: ٩١٢٩ - ص. ب، ٧٨، تَلْكَسٌ: ٣٣١٦٩٢ - رِيفِ كُو

مَطْبَعَةِ الصِّبْلَحِ

دَمْشَقُ - هَاتَفٌ ٢٢٢١٥١٠

عَدْدُ النُّسُخِ (١٠٠٠)

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا
محمد ، صلى الله عليه وسلم ، خير المرسلين الذي كان
لنا وما زال أسوة حسنة ، نقتدي بأقواله وأفعاله التي إن
تمسكت بها قادتنا إلى بُرّ الأمان ، وجعلتنا من أهل الجنة
مع الصالحين والصديقين رضوان الله عليهم ، آمين .

وبعد :

هذه رسالة الشيخ الإمام الغزالى حجة الإسلام أبو
حامد بن محمد ، التي أخرجها إلى النور السيد الأستاذ
نهاد حناوى برغبة من دار القلم العربى ، لتضيىء درب
المؤمنين وتبعدهم عن الزلل والغرور ، والعياذ بالله ،
هذا الغرور الذى إذا أصاب الإنسان قاده إلى التهلكة .

وقد تضمنت هذه الرسالة فصولاً خمسة :

تحدث الإمام الغزالى في الفصل الأول عن غرور الكافرين الذين تلبسهم الشيطان ومشاهم قول أحدهم عندما دخل جنته ” ما أظن هذه تبىء أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن ردت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً ” .

وفي الفصل الثاني تحدث الإمام الغزالى رحمه الله عن غرور العصاة من المؤمنين الذين تفألوا بعفو الله ورحمته ، إلا أنهم أهملوا الأعمال الصالحة .

كما تحدث الإمام الغزالى في الفصل الثالث رحمه الله عن غرور طوائف من الناس لهم طاعات كما لهم معاصي وذنوب إلا أن كفة ذنوبهم ترجح كفة طاعاتهم .

وتحدث الإمام الغزالى في الفصل الرابع عن أولئك الذين يظنون أنهم يقومون بأعمال الخير والبر أكثر مما يقومون بأعمالسوء والمعصية .

أما الفصل الخامس والأخير فتحدث فيه الإمام الغزالى عن أصناف المغورين وأقسام كل صنف .

وقانا الله وإياكم من الغرور وجعلنا من الصالحين الأبرار الذين يعملون ولا يرجون سوى طاعة الله ومغفرته ، وهدانا الله عز وجل إلى الصراط المستقيم ، وأبعدنا عن الغرور في الحياة الدنيا . يقول الله عز وجل (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

وصلى الله على سيدنا محمد خير البشرية ومعلم الإنسانية فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس بين أصحابه لا يكاد يميزه أحد .

زهير مصطفى يازجي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الغزالي الإمام ، حجة الإسلام ، أبو
حامد بن محمد . نفعنا الله به :

الحمد لله وحده ، والصلوة والسلام على خير
خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

اعلم أن الخلق قسمان ، مكلف ومهممل (١)

(١) مهممل هو الذي رفع عنه التكليف وهو أحد أصناف
ثلاثة : الصبي والنائم والجنون : وذلك من حديثه صلى
الله عليه وسلم " رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبي حتى
يختلس وعن النائم حتى يستيقظ وعن الجنون حتى
يعقل " . رواه أبو داود وغيره .

فالمكلف ، إما مؤمن وإما كافر^(١) .

والمؤمن قسمان ، طائع و العاص . وكل واحد من الطائعين وال العاصين ينقسم إلى قسمين : عالم وجاهل .

= قوله يحتمل : أي يبلغ . وما سوى هذه الأصناف الثلاثة .
يدخل في نطاق المكلفين الذين ذكرهم حجة الإسلام .
وأخصهم لتصنيف آخر هو من صلب كتاب الله عز وجل .

(١) كافر : هنا أجمل تحت الكلمة الكافر كلا من : المنافق
والكافر صراحة والذين ذكرهما الحق تبارك وتعالى في
كتابه العزيز قوله في صدر سورة البقرة : " إن الذين
كفروا سواء عليهم أذنرتهم أم لم تذرهم لا يؤمنون ختم
الله على قلوبهم ..." .

ثم رأيت الغرور لازما لجميع المكلفين المؤمنين
والكافرين إلا من عصمه الله تعالى . وأنا بحمد الله
أكشف غرورهم، وأبين العلة فيه وأوضحه غاية
الايضاح وأبينه غاية البيان بأوجز ما يكون من
الإشارات .

= وأما المنافقين ففي قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا
بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين
آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون ... ". وأما
المؤمنين ففي قوله تعالى : " الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما
أنزل إليك وما نزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " .

والمغدور من الخلق ماعدا الكافر أربعة أصناف: صنف من العلماء ، وصنف من العباد ، وصنف من أرباب الأموال ، وصنف من المتصوفة . وأول مانبدأ به غرور الكفار : وغورهم قسمان : قسم غرته الحياة الدنيا ، وقسم غرته بالله الغرور (١) .
أما الذين غرتهم الحياة الدنيا . فهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة . والدنيا نقد ، والآخرة نسيئة.

(١) وذلك لقوله تعالى : " فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور " سورة لقمان آية(٣٣) وذلك أنه تبارك وتعالى جعل الغرور يتأنى . إما من الحياة الدنيا وإما من الغرور . أما الحياة الدنيا فهي في غنى عن التعريف وأما الغرور فهو إما إنسني كالكافرين والظالمين وإما جن كالشيطان " وما يغدرهم الشيطان إلا غرورا " . سورة النساء (١٢٠) .

والنقد خير من النسيئة ، ولذة الدنيا يقين ولذة الآخرة مشكوك فيها فلا نترك اليقين بالشك . وهذا قياس إبليس لعنه الله في قوله : "أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقه من طين (١)" . فظن أن الخير في النسيئة .

وعلاج الغرور شيئاً : إما تصديق وهو الإيمان وإما برهان . أما التصديق فهو أن يصدق به سبحانه وتعالى في قوله : " وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا

" (١) سورة ص: ٧٦ في المخطوطة: "أنا خير منه خلقتني من فقط .

وعلى ربهم يتوكلون (١) وأن يصدق الرسول فيما جاء
به . وأما البرهان : فهو أن تعرف وجه فساد قياسه ،
(وفيه أصلان أحدهما) : أن (٢) الدنيا نقد والآخرة
(نسيئة . وهذا صحيح (٣)) . والآخر قوله : النقد خير
من النسيئة وهذا محل التلبيس . فليس الأمر كذلك ، بل
إن النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير .
وإن كان أقل منه فالنسيئة خير منه .

(١) سورة الشورى : ٣٦ . في المخطوطة : " وما عند الله
خير وأبقى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " وال الصحيح
ما ذكر أعلاه .

(٢) - (٣) ما يبين قوسين ليس في المخطوطة وإنما وضع لإتمام
المعنى .

ومعلوم أن الآخرة أبدية والدنيا غير أبدية . وأما قوله : ولذة الدنيا يقين . والآخرة مشكوك فيها فهذا أيضا باطل . بل ذلك يقين عند المؤمن . واليقين مدرّكان :

أحدهما الإيمان والتصديق على وجه تقليد (١) الأنبياء والعلماء كما يقلد الطبيب الحاذق في الدواء .

(١) وفي هذا المعنى يقول صاحب الجوهرة :
إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من تردید
ففيه بعض القوم يحكي الخلفا وبعضهم حقق فيه الكشفا
فقال إن يجزم بقول الغير كفسي وإنما لم ينزل في الضير

وعلق عليه الصاوي بقوله : إن من عرف الله بالدليل
 ولو جمليا . ولو لم يكن باصطلاح أهل الكلام فهو مؤمن
 اتفاقا ومن عرفه بلا دليل أصلا بل بالتقليد ففيه ستة أقوال :

والمردك الثاني : الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظن أن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لأمر

= وقد أوردها الصاوي وعلق على أحدها قائلا: والحق الذي عليه المعول : أنه مؤمن عاص بترك النظر إن كان فيه أهلية . ولكن هناك قول أورده وهو لا يبعد عن الذي ذكر بل يزيد عليه في أنه أقرب إلى القلب والعقل معا . وهو قول غالب السادة الصوفية وفيه : إن النظر حرام وهو مذهب أغلب الصوفية . إنهم يقولون . متى غاب حتى يستدل عليه ومتى خفي حتى تكون الآثار تدل عليه وذكر ابن عربي أقساما خمسة للإيمان : ١ - إيمان تقليد ، ٢ - إيمان علم ، ٣ - إيمان عيـان ، ٤ - إيمان حق ، ٥ - إيمان حقيقة . فالقسمين الأولين ينطويان تحت المدرك الأول الذي ذكره حجة الإسلام . وأما الثلاثة الباقية فتدرج تحت المدرك الثاني وهو الذي يختص به الأولياء والأنبياء .

الآخرة ولأمور الدنيا تقليد بـ جبريل عليه
السلام . فإن التقليد ليس بمعرفة صحيحة بل هو اعتقاد
صحيح ، والنبي صلى الله عليه وسلم حاشاه من ذلك .
بل قد انكشفت له الإشارة وشاهدها بنور البصيرة كما
شاهدت أنت المحسوسات بالعين الظاهرة .

- الفصل الأول -

والمؤمنون بآمنتهم وعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة وتلبسوا بالشهوات فهم مشاركون الكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة فهذا معنى الغرور بالحياة الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعا .

فأما غرور الكافرين بآمنت الله فمثال قول بعضهم بآمنتهم أنه لو كان الله من معاد . فنحن أحق به من غيرنا . كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الكهف حيث قال أحدهم : " ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن ردت إلى ربي لأجدن خيرا منها

منقلباً" (١) . وسبب هذا الغرور قياس من أقيسة إبليس لعنه الله تعالى وذلك أنهم ينظرون إلى نعم الله

(١) سورة الكهف (٣٤ - ٣٥) . قال صاحب الحكم . " خف من وجود إحسانه إليك ودوم إساعتك معه أن تكون ذلك استدراجاً "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" . وهذا الذي حصل بأجلسي صورة مع كل طواغيت الأرض إلى زمننا هذا حيث تمثلت هذه الطواغيت في صورة أشخاص وفي صورة دول متجبرة وفي صورة أفكار هدامة . فلا نتصور أن حلمنا كحلم الله معهم فإما يمد لهم ليزدادوا طغياناً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر وهذا أشد إمعاناً في التعذيب قال تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بعنة فإذا هم ملبوسون " . ومن هذا القبيل قول الشاعر : وأعظم شيء حين يفجئك البغت .

عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعيم الآخرة مرة
وينظرون مرة أخرى إلى تأخير العذاب عنهم في الدنيا
فيقيسون عليه عذاب الآخرة . كما أخبر الله تعالى
عنهم إذ يقولون : " ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول " (١) .

(١) سورة الحادلة ٢ : وقد غاب عن أولئك قول الله تعالى :
ولا تحسن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم . إنما
نملي لهم ليزدادوا إثما و لهم عذاب مهين " . قوله تعالى :
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون " وهذا الاستدرج إنما
يكون في كون المحنـة في عين المـنة . فهـذا الصـنـف يـشـهـد
المـنة و يـغـيـبـ فيها و يـنـسـيـ نفسه و يـشـهـدـ توـالـيـ الإـحـسـانـ إـلـيـهـ
و يـحـجـبـ عنـ توـالـيـ أـخـذـ نـعـمـةـ شـهـودـ مـحـسـنـ الإـحـسـانـ .
و يـحـجـبـ عنـ شـكـرـ وـأـهـبـ النـعـمـةـ وـمـؤـخرـ النـقـمةـ .

ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء فيزدرونهم
ويستحقرنهم فيقولون : " أهؤلاء من الله عليهم من
. بیننا " (١) .

" ويقولون " لو كان خيرا ما سبقونا إليه (٢) "
وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون قد
أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا (٣) وكل محسن فهو محب ،

(١) الأنعام آية (٥٣) .

(٢) سورة الأحقاف (١١) . وأمثال أولئك قد غص بهم
مجتمع المسلمين بداعي من الغرور والتكبر على خلق الله
تعالى وبدافع التقىص والتقليل من شأن الآخرين حسدا
وضعفينة حتى استوى في ذلك الوباء : الجاهم والعالم
والعامي وطالب العلم .

(٣) في المخطوطة كلمة (الآخرة) وما ذكر أعلاه هو
الصواب .

فإنه محسن ، وليس كل محسن محبًا ، بل يكون محسنا ولا يكون محبًا ، بل ربما يكون الإحسان سبب هلاكه على التدريج . وذلك محضر الغرور بالله تعالى (١) ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه " (٢) وكذلك

(١) وقد يغتر المسلم بأمور صورتها من النعم الأخرى وباطنها حظوظ النفس وطلب شكر الناس والثناء عليه فمن أولئك من يغتر بصلاته فيحسب نفسه صاحب حظوة عند الله تعالى . فتسوء أخلاقه مع خلق الله وهو يربو بنفسه عنهم معتقدا الخيرية لنفسه عليهم . فهذا من دركات الهلاك الأولى .

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعا . وقد ورد في المخطوطة بلفظ مع ياض قبل الكلمة الأولى " يحمي =

كان أرباب البصائر . إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا .
 وإذا أقبل عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا بشارع
 الصالحين وقد قال الله تعالى : " فأما الإنسان إذا
 ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرم . وأما إذا
 ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهان " (١) . وقال
 تعالى : " أيمسرون أنما نمد لهم به من مال وبنين .
 نسارع لهم في الخيرات ... " (٢) . وقال تعالى : "
 سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملئ لهم إن
 كيدي متين " (٣) . وقال تعالى : " فلما نسوا

= عبده من الدنيا كما يحمي " أحدكم مريضه من الطعام
 والشراب وهو يحبه " ورواه الترمذى .

(١) سورة الفجر آية (١٥ - ١٦) .

(٢) سورة المؤمنون آية (٥٥ - ٥٦) .

(٣) سورة القلم آية (٤٤ - ٤٥) .

ما ذكرنا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى
إذ أفرحوا بما أتوا أخذناهم بعنة فإذا هم
مبليرون" (١). إلى قوله : الظالمون إلى غير ذلك مما ورد
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
 وسلم (٢) .

فمن لم يؤمن بالله لم يؤمن من هذا الغرور ، ومن شاء
هذا الغرور . الجهل بالله تعالى وبصفاته . فإن
من عرف الله لم يؤمن مكره . وينظر إلى فرعون
وقارون وهامان والنمرود وما حصل لهم مع ما أعطاه
الله تعالى من المال . وقد حذر الله تعالى مكره فقال :

(١) سورة الأنعام آية (٤٤) .

(٢) اضافة ليست في المخطوطة ليستوي السياق .

"فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (١). وقال الله تعالى : " ومكرروا ومكر الله والله خير الماكرين (٢) " . وقال تعالى : " إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " (٣) . فمن أُوتى نعمة . فليحذر أن تكون له مكرا منه تعالى وكيدا (٤) .

(١) سورة التمل (٥٥) .

(٢) سورة آل عمران (٥٤) .

(٣) سورة الطارق (١٥) .

(٤) ومن فبيل هذا الكيد أن يغتر الإنسان بنعمة لابد له فيها وفي اكتسابها كاغترار إبليس بخلقه من نار . فقال ميرزا مخالفته ومعصيته لأمر ربه بالسجود لآدم . (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقه من طين) وكذلك من الناس من يغتر بجسم أو نسبة أو جاه وينسى أن الله أوحى =

= إلى نبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). وقد أوصى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال : (لا أغنى عنكم من الله شيئا لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتونني بآنسابكم .

– الفصل الثاني –

وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم : إن الله كريم رحيم . وإننا نرجو عفوه . فاتكلوا على ذلك . فأهملوا الأعمال وذلك من قبل الرجاء (١) فإنه مقام محمود في الدنيا ، وإن رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم . وإن موحدون مؤمنون نرجوه بوسيلة الإيمان والكرم والإحسان . وربما كان منشأ رجائهم

(١) قال صاحب الحكم : (الرجاء ماقارنه عمل ولا فهو أمنية) . أما الرجاء : فهو تعلق القلب بعطاوى يحصل في المستقبل مع الأخذ في العمل المحصل له وأما الأمانة : فهي اشتقاء وثمن لا يصحبه عمل . قاله بعض العلماء . وقال معروف الكرخي : (طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء رحمة من لا يطاع . جهل وحمق) .

التمسك بصلاح الآباء والأمهات . وذلك نهاية الغرور .

فإن آباءهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين ، ويظهر قولهم الذي سول لهم الشيطان : أن من أحب إنساناً أحب أولاده وأن الله تعالى قد أحب آباءكم فهو يحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعات فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله ولم يعلموا أن نوح عليه السلام أراد أن يحمي ابنه في السفينة فمنع وأغرقه الله بأشد ما أغرق به قوم نوح . وأن نبينا صلى الله عليه وسلم استأذن ربه في زيارة قبر أمه وفي الاستغفار لها . فأذن له في الزيارة ولم يأذن له في الاستغفار . ونسوا قوله تعالى : " ولا تزر وازرة وزر أخرى " (١) . وقوله تعالى : " وأن

(١) سورة الأنعام : (١٦٤)

ليس للإنسان إلا ماسعي (١) . وأنه من ظن أن بتقوى
أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه . ويروي بشرب

(١) سورة النجم : (٣٩) ويقاس على الأهل والأولاد والأباء
من كان في هذه الأيام على قرب لصيق بمشايخ التربية
والسلوك فيحسب قربه المكاني منه قربة له من الله .
وقد سبق العلم بحال عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس
المنافقين الذي كان يزاحم على محاورة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المجلس . وهو الذي أخذ مكانه في
الدرك الأسفل من النار وذاك أوييس القرني الذي لم ير
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فإن حبه للنبي
صلى الله عليه وسلم جعله مقدما على عم الرسول صلى
الله عليه وسلم أبي هب الذي تبت نياداه والذي سيصلب
نارا ذات هب حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم
لسيادنا عمر وعلي : اذا رأيتما أوييسا فاطلبا منه الدعاء .

أبيه، فالتفوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئاً . وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، إلا على سبيل الشفاعة ونسوا قوله عليه الصلاة والسلام : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتنى على الله(1) .

(1) وردت في المخطوطة كلمة (والأحمق) . بدلًا من كلمة (والعاجز) . وقد رواه كما ذكر في السياق أعلاه . الترمذى وقال حديث حسن . وأخرجه الحاكم في مستدركه وصححه على شرط البخاري وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه وفي مسنده أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف . وكان قد سرق بيته فاختلط . وقال عنه الذهبي : لا والله أبو بكر رواه .

وقوله تعالى : " إن الذين آمنوا والذين هاجروا
وواجهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله . والله
غفور رحيم " (١) . وقال تعالى : " جزاء بما كانوا
يعملون " (٢) . وهل يصح الرجاء إلا أن يتقدم عمل .
فإن لم يتقدم عمل فهو غرور لامحاله . وإنما ورد الرجاء
لتبريد حرارة الخوف واليأس لتلك الفائدة نطق به
القرآن وللتزغيب في الزيادة .

(١) سورة البقرة آية (٢١٨) .

(٢) سورة الواقعة آية (٢٤) .

– الفصل الثالث –

ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصٍ ، إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجموا كفوة حسناتهم ، مع أن ما في كفوة سيئاتهم أكثر ، وهذا في غاية الجهل ، فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال الناس والشبهات أضعافه ، وهو كمن وضع في كفوة الميزان عشرة دراهم ووضع في الكفوة الأخرى ألفاً وأراد أن يميل التي فيها العشرة وذلك في غاية الجهل (١).

(١) وهنا لابد من التفريق بين حقيقين منوطين بكل مسلم بالغ مكلف الحق الأول : الله تعالى والحق الثاني : للغسل ، =

= أما حق الله تعالى على العبد فهو مبني على المساعدة ومن هنا لا يمكن أن تميل كفة الصدقات على كفة السيئات فيها حقوق الخلق المسلوبة والمغتصبة من قبل ذلك المتصدق بل حاله هو حال ذلك الرجل الذي ذكره صلى الله عليه وسلم في ذلك الحديث فقال : (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم . وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغير يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام . فأنى يستحباب رواه مسلم والتزمي . لذلك " .

الفصل الرابع -

ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه ، لأنه يحاسب نفسه ، ولا يتفقد معاصيه ، وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها ، كالذي يستغفر بلسانه ، ويسبح في الليل والنهار ، مثلاً مئة مرة أو الفا ، ثم يغتاب المسلمين ، ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول النهار ، ويلتفت إلى ماورد في لفظ التسبيح ، ويفعل بما ورد في عقوبة الكاذبين والنمامين والمنافقين . وذلك محض الغرور فأولى به حفظ لسانه من المعاصي أكثر من

تسبيحه ، فسبحان من صدنا عن الغيبة (١) .

(١) وحسبنا هنا قوله: "ما يلفظ من قول إلا لدifice رقيب عتيد". قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ رَضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رَضْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ سُخْنَتِ اللَّهِ ، مَا يَظْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سُخْنَتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

الفصل الخامس – في بيان أصناف المغوروين وأقسام كل صنف

الصنف الأول : من المغوروين ، العلماء المغوروون
فرق : فرقة لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية ،
وتعمقوا فيها ، أهملوا تفقد الجواز وحفظها من
المعاصي ، وإلزامها الطاعات ، واغتروا بعلمهم ، وظنوا
أنهم عند الله بمكان ، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا
يعدب الله تعالى مثلهم ، بل يقبل في الخلق شفاعتهم ،
ولا يطالبهم بذنبهم وخطاياتهم ، وهم مغوروون(1).

(1) وهؤلاء قد أصبحوا كثرا . فقلما يخلو عالم من هذا
الغور فيكون من رحمة الله . فترى أحدهم يتعامل مع
خلق الله بنظرة فوقية تزرع بغضه وكراهيته في قلوب =

فإنهم لو نظروا بعين بصيرة . علموا أن العلم علماً: علم معاملة . وعلم مكاشفة بالله تعالى وبصفاته ، فلا بد من علوم المعاملة لتقام الحكمة المقصودة ، وعلم المعاملة معرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ومثالهم مثل طبيب غيره وهو عليل ، قادر على طب نفسه ولم يفعل ، فلا ينفع الدواء بالوصف ، إنما ينفع الدواء من شربه بعد الحمية ، فهؤلاء قد غفلوا عن قوله تعالى : " قد أفلح

= الناس . بعكس الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان من شدة تواضعه لا يعرف من بين أصحابه إذا جلس بينهم ، ومايزال هذا الغرور يتولد في نفوس طلاب العلم في غيبة التوجيه القلبي والروحي والتربية التي ربي بها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين فازوا بتلك التربية على يد علماء التربية والتزكية والإحسان ...

من زَكَاها وقد خَابَ مِنْ دَسَاها (١) " وَلَمْ يَقُلْ قَدْ أَفْلَحَ
مِنْ تَعْلِمَ كَيْفِيَّةَ تِزْكِيَّتِهَا ، وَعَلِمَ وَكَتَبَ عِلْمَهَا
وَعِلْمَهَا لِلنَّاسِ .

وَغَفَلُوا عَنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ : " مِنْ ازْدَادِ
عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ هَدِيًّا ، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا " (٢)

(١) سُورَةُ الشَّمْسِ آيَةُ (٩ - ١٠) .

(٢) فِي المُخْطُوْطَةِ وَرَدَتْ كَلْمَةُ (زَهَدًا) بِدَلَالٍ مِنْ كَلْمَةِ
(هَدِيًّا) كَمَا رَوَاهُ الدِّيْلَمِيُّ فِي سِنْدِ الْفَرْدَوْسِ وَحَدِيثِ
عَلِيٍّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ وَرَوَاهُ ابْنُ حِيَانَ فِي رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ
مُوقُوفًا عَلَى الْحُسْنِ بِلَفْظِ مِنْ ازْدَادِ عِلْمًا ثُمَّ ازْدَادَ عَلَى
الْدُّنْيَا حَرْصًا لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا وَرَوَاهُ أَبْوَ الْفَتْحِ
الْأَزْدِيُّ فِي الْضَّعَفَاءِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ بِلَفْظِ مِنْ ازْدَادَ بِاللَّهِ
عِلْمًا ثُمَّ ازْدَادَ لِلْدُّنْيَا حَبَّا ازْدَادَ اللَّهَ عَلَيْهِ غَضِيبًا .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "شر الناس العلماء
السوء" (١) .

(١) رواه الدارمي مرسلاً بلفظ: (هلاك أمتي عالم فاجر
وشر الشرار شرار العلماء) . وإنما جعلهم شر الشرار
وشر الناس لقدر الضرر الذي يلحقونه بالأمة . فزلة
العالم زلة للعالم . لأنه في موقع القدوة والقيادة لمن حوله.
وإنه ليمنع أحدهم في الشر حين يلتمس في ثنايا علمه
مبرراً لخروجه عن جادة الحق والصواب كما في قوله
تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مِنَ الْخَذِيلِ هُوَ أَهْوَى وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ
. . .)

وإنما جعل الأمة فرقاً وأحزاباً وشيعاً هم أمثال أولئك من
شرار العلماء الذين تملّكهم حب الرئاسة والجاه والمنصب
والحظوة عند السلاطين والملوك . والأمثلة في صفحات
التاريخ يقصر عنها الحصر ويعجز دونها العد .

وقوله عليه الصلاة والسلام : " أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه " (1) وغير ذلك كثير ، وهؤلاء مغرورون نعوذ بالله تعالى وانما غالب عليهم حب الدنيا ، وحب أنفسهم وطلب الرحمة في العاجلة ، وظنوا أن علمهم ينجيهم في الآخرة ، من غير عمل .

وفرقة أخرى . أحكموا العلم والعمل الظاهر ، وتركوا المعاصي الظاهرة ، وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله ، كالكثير والرياء والحسد وطلب الرئاسة والعلو ، وإرادة السوء بالأقران وطلب الشهرة في البلاد والعباد ، وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله عليه الصلاة والسلام : " الرياء

(1) الطبراني مرفوعا .

شرك أصغر " (١) وقوله صلى الله عليه وسلم :
" الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " (٢)،
وقوله صلى الله عليه وسلم : " حب المال والشرف

(١) وردت في المخطوطة (الأصغر) والصواب ماجاء
أعلاه. ورواه الإمام أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا
والبيهقي مرفوعاً بلفظ : (إن أخوف ما أخاف عليكم
الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء،
يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى
الذين كتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عنهم
جزاء).

(٢) رواه أبو داود مرفوعاً بلفظ : (إياكم والحسد فإن
الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال
العشب) .

ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل (١) وغفلوا عن قوله تعالى : " يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى بقلب سليم ..." (٢) .

فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ، ومن لم يظهر قلبه لم تصح طاعته ، وهو كمريض ظهر به الجرب ، فأمر بالطلاء ، وشرب الدواء ، فاشتغل بالطلاء وترك الدواء ، فازال مابظاهره ولم يزل ماباطنه ، وأصل ما على ظاهره مما على باطنه ، ولايزال جربه أبداً مما في باطنه فلو أزال ما في باطنه استراح ظاهره ، وكذلك الخبائث إذا كانت كائنة في القلب (٣)

(١) هذا الحديث قال عنه الحافظ العراقي : لم أجده .

(٢) سورة الشعراء : (٨٨) .

(٣) هذه الخبائث القلبية هي من أشد العوامل فتكاً في قلب المسلم . إذ أن الخبائث الظاهرة تزول حكماً بالمحالطة =

يظهر أثراً على الجوارح .

= الدائمة لأهل الشرع والإيمان الظاهر . فلا يعقل أن يأتي
أمراً منكراً ظاهراً وهو في صحبة أهل الخير والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن يعقل في نفس الوقت
أن يتحرك مرض خبيث قلبي بداخله ولا يفطن له أصحابه
كما هو حال من تحرك الحسد بداخله وكما هو حال من
تشوّق نفسه لحب المال والزعامة والشهرة وحسن الشاء
من الناس عليه . كذلك هو حال من نفح أبليس في نفسه
فراها في مرتفع يصعب على الناس نواله ، هذه الأمراض
الخبيثة لا يمكن معالجتها إلا بإتيان أرباب الاختصاص
معالجتها من أهل العلم بالقلوب وأدوائهما ، فكما جرب
الظاهر يلزم طبيب الجسد الظاهر ليداويه وكذلك جرب
الباطن لا يذهب إلا طلب أطباء القلوب والتزام دوائهما
الذى هو من عين المعين الحمدي على صاحبه أفضل
الصلة والسلام .

وفرقـة أخـرى عـلمـوا أـن هـذـه الـأـخـلـاق الـبـاطـنـة
مـذـمـوـمـة مـن جـهـة الشـرـع ، إـلا أـنـهـم لـعـجـبـهـم بـأـنـفـسـهـم
يـظـنـون أـنـهـم مـكـتـفـون عـنـهـا ، فـإـنـهـم أـرـفـع عـنـد اللهـ مـن أـن
يـبـتـلـيـهـم بـذـلـك ، وـإـنـما يـبـتـلـيـهـم بـهـ العـوـام ، دـوـن مـن بـلـغـهـم
مـبـلـغـهـم فـي الـعـلـم فـإـنـهـم أـبـلـغـعـنـد اللهـ مـن أـن يـبـتـلـيـهـم ثـمـ
إـذـا ظـهـر عـلـيـهـم مـخـاـيـلـ الـكـبـرـ وـطـلـبـ الـعـلـوـ وـالـشـرـفـ ،
وـالـغـرـورـ. ظـنـوا أـنـ ذـلـكـ لـيـسـ بـكـبـرـ(1) وـإـنـما هو عـزـ الـدـيـنـ

(1) وـهـؤـلـاءـ مـنـ الـذـيـنـ انـقـلـبـ عـلـمـهـمـ وـبـالـاـ عـلـيـهـمـ وـأـضـلـهـمـ
الـلـهـ عـلـىـ عـلـمـ وـهـؤـلـاءـ عـلـيـهـمـ كـفـلـ مـنـ كـلـ مـخـالـفـةـ يـرـتـكـبـهـاـ
الـعـامـةـ وـقـدـ التـمـسـوـاـ هـاـ تـأـوـيـلـاـ مـنـ تـأـوـيـلـاتـهـمـ الـبـاطـلـةـ .ـ وـقـدـ
عـانـىـ فـيـهـاـ سـيـدـنـاـ عـلـىـ اـبـنـ أـبـيـ طـالـبـ حـتـىـ قـالـ:ـ (ـإـنـهـاـ
كـلـمـةـ حـقـ أـرـيدـ بـهـاـ بـاطـلـ)ـ وـهـؤـلـاءـ لـمـ يـكـنـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ
سـبـيـلـ الـحـقـ سـوـىـ عـقـبـةـ مـنـ مـخـالـفـةـ الـهـوـىـ وـالـنـفـسـ
وـالـاعـتـرـافـ وـالـإـقـرـارـ لـقـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ (ـكـلـ =

وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله ، وغفلوا عن فرح
إبليس بهم ، وغفلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن نصرته للدين . ما كانت وعن إرغامه للكافرين
كيف كان ، وعن تواضع الصحابة وتذللهم وفقرهم
ومسكتتهم حتى عوتب عمر رضي الله عنه عند قدومه
الشام فقال " إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب
العز في غيره " . ثمن هذا الغرور يطلب عز الدين
بالياب الرقيقة ويزعم أنه يطلب عز العلم وشرف
الدين .

ومهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد
عليه شيئا من كلامه ، لم يظن بنفسه أن ذلك حسد
و حينئذ يقول إنما هو غضب للحق ، ورد على المبطل

= ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

في عداوته فيما رد عليه ، وهو مغدور ، فإنه لو طعن على غيره من العلماء ، من أقر انه ر بما لم يغضب بل ر بما يفرح ، وإن أظهر الغضب عند الناس فقلبه ر بما يحبه (١) . ور بما يظهر العلم ، ويقول غرضي أن أفيد الخلق ، وهو به مراء (٢) .

(١) الماء عائدة هنا على فعل الطعن الذي ينال من غيره من العلماء وهذا من أمراض الحسد البغيض بين العلماء .

(٢) ومن هذا الصنف أولئك الذين ورد الحديث فيهم فكانوا من أول الناس الذين تسرع بهم النار فيؤتى بأحدهم يوم القيامة كما ورد (ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمة فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمه ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على =

لأنه لو كان غرضه صلاح الخلق لأحب صلاحهم على
يد غيره من هو مثله أو فوقه أو دونه وربما يدخل
على السلاطين ويتودد إليهم ويشتري عليهم . فإذا
سئل عن ذلك . قال : إنما غرضي أن أنفع المسلمين
وأدفع عنهم الضرر ، فهو مغرور (١) ولو كان غرضه
ذلك ، لفرح به إذا جرى على يد غيره ، ولو رأى غيره
من هو مثله عند السلطان يشفع في أحد يغضب ، وربما

= وجهه حتى ألقى في النار ...) . إلى آخر الحديث الذي
رواه مسلم والترمذى والنسائى .

(١) وذلك لما رواه البخاري : عن ابن عمر رضي الله عنهم
أن ناسا قالوا : إننا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم
بخلاف ماتكلم إذا خرجنا من عندهم ؟ قال ابن عمر
رضي الله عنهم : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

يأخذ من أموالهم (١) فإن خطر له أنه حرام ، قال له
الشيطان هذا مال بلا مالك ، وهو لمصالح المسلمين ،
وأنت إمام المسلمين وعاليهم بك قوام الدين ، فيفتر
بهذا التلبيس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لامالك
له . والثاني : أنه من مصالح المسلمين ، والثالث أنه
إمام ولا يكون إماما إلا من أعرض عن الدنيا كالأنبياء
والصحابة ، ومثله كما قال المسيح عيسى عليه السلام:

(١) وهؤلاء لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها لتشم من مسيرة
أعوام وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: (من تعلم علما مما ينفعي به وجه الله عز
وجل لا يتعلم إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة) أي ريحها.

العلم السوء (١) كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي
تشرب الماء ولا هي ترك الماء يخلص إلى الزرع .

(١) وهذا الصنف من علماء السوء لا يخلو منهم زمان ولا
مكان ولكنهم يتراوحون وفرة وقلة لقوله صلى الله عليه
وسلم في حديثه عن أفضل القرون . فجعل قرنه أفضل
القرون ثم الذي يليه . إلى آخر الحديث . فهذا شيء
مسلم به ولكن الذي لا ينبغي التسليم به هو ذلك التوجّه
الهادف للطعن في علماء المسلمين لوجود هذه الطائفة
المتطفلة من علماء السوء ، وهذا يفتح الباب للعامة
للإفلات من كل قيد يمسك أستنتم عن الخوض في سير
العلماء الصالحين وفي أعراضهم ونراحتهم وتقواهم وهذا
مدخل عظيم لإبليس ولأعداء الإسلام يلجمون منه إلى
داخل المجتمع الإسلامي ويوجهون طعناتهم إلى مقتله
وليس لأي مسلم أي عذر عند الله وهو يأتي ذلك وقد
غفل عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم =

وأصناف غرور أهل العلم كثيرة ، وما يفسد هؤلاء
أكثر مما يصلحون . وفرقة أخرى ، أحکموا العلم
وظهرت الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر
المعاصي ، وتفقدوا أخلاق النفس وصفاء القلب من
الرياء ، والحسد والكبير ، والحقد وطلب العلو ،
وجاهدوا أنفسهم في التبري منها ، وقلعوا من القلب
منابتها الجلية القوية . ولكنهم مغرورون إذ بقي في
زوايا القلب من خبايا مكائد الشيطان وخبايا خداع
النفس .

= فاسق بنباً فتبينوا أن تصيروا قوماً بجهالة فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين).

– مصادر التحقيق والتعليق –

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

محمد فؤاد عبد الباقي

ابن كثير

٢- تفسير ابن كثير ١ / ٤

السيوطى

٣- الجامع الصغير ١ / ٢

المنذري

٤- الترغيب والترهيب ١ / ٤

الغزالى

٥- إحياء علوم الدين ١ / ٥

الشعرانى

٦- ل الواقع الأنوار القدسية

شرح الصاوي

٧- جوهرة التوحيد

– انتهت الرسالة –

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩	– أقسام الخلق
١٢	– أصناف المغرورين
١٣	– علاج الغرور
١٩	– الفصل الأول
١٩	– في غرور الكافرين
٢٩	– الفصل الثاني
٢٩	– في غرور العصاة من المؤمنين
٣٥	– الفصل الثالث
٣٥	– في غرور طوائف لهم طاعات ومعاص

- | | |
|----|--|
| ٣٧ | - الفصل الرابع |
| ٣٧ | - في من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه |
| ٣٩ | - الفصل الخامس |
| ٣٩ | - في بيان أصناف المغرورين وأقسام كل صنف |
| أ | - صنف أحکم العلوم الشرعية والعقلية لكنهم
أهملوا الجوارح وحفظها من المعاصي |
| ٣٩ | ب- صنف أحکم العلم والعمل الظاهر وغفلوا عن
العمل الباطن |
| ٤٣ | ت- صنف علم أن الأخلاق الباطنة مذمومة إلا أنهم
ظنوا أنهم بعيدون عنها |
| ٤٧ | ث- صنف أحکم كل شيء لكن بعض مكائد
الشيطان ما زالت في زوايا قلوبهم |
| ٥٣ | |

To: www.al-mostafa.com